4 me Année, No. 137.

Lundi-17-2-1936

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات

٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة

تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

أحمد حسن الزيات

الادارة

بشارع المبدولي رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٣٧ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٤ ذو القعدة سنة ١٣٥٤ — ١٧ فبراير سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــدد

صفحة		
٢٤١	العـــزة	الأستاذ أحمد أمين ... ...
٢٤٤	الســكة	الأســتاذ مصطفى صادق الرافعي
٢٤٩	أساليب الكفاح الدولي بين الأمس واليوم ...	بقلم باحث دبلوماسي كبير ......
٢٥١	الاســتعمار والتعليم ...	الأستاذ ساطع بك الحصري ...
٢٥٦	قصة الـكروب	الدكتور أحـمد زكي ... ...
٢٦٠	في ميدان الاجتهاد ...	الأستاذ عبد المتعال الصعيدي ...
٢٦٣	من ربوع الغرب ... الى بـلاد العرب ...	الدكتور عبد الـكريم جرمانوس
٢٦٦	بين الثريا والثرى (قصيدة)	الأستاذ عبد الرحمن شكري ...
٢٦٦	الليلة الثانية عشرة »	الأستاذ على أحمد باكثير ......
٢٦٧	الشــاعر ... »	السيد رياض معلوف ... ...
٢٦٧	يــد الأيام ... »	السيد الياس قنصل ... ...
٢٦٨	تطور الحركة الفلسفية في ألمـانيا	الأستاذ خليل هنداوي ... ...
٢٧١	أبامنوت (قصة) ...	الأســـتاذ دريني خشبة ... ...
٢٧٤	التفـــاز . » ...	الأديب حسين شوقي ....
٢٧٦	كتاب لزعيم الاشتراكية الفرنسية . وفاة مؤرخ وصحفي كبير	
٢٧٧	علم المثلثات والعرب ...	الأستاذ قدري حافظ طوقان ...
٢٧٧	كتاب جـديد لبول موران	
٢٧٨	ذكرى مخترع القاطرة	
٢٧٩	الفن الاسلامي في مصر « كتاب »	

العــــزة

للأستاذ أحمد أمين

استعملت العرب كلمة « العزة » في مقابل « الذلة » ، فقالوا رجل عزيز ورجل ذليل . وجاء استعمال « العزيز والذليل » في القرآن متقابلين ، فقال تعالى : « أذلة على المؤمنين أعزة على الـكافرين » . وحكى عن المنافقين أنهم قالوا في حرب الغزوات : « لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » ، وهي كلة قالها ابن أبيّ ، ويريد بالأعزة نفسه وصحبه ، وبالأذلة محمدا (ص) وصحبه ، فرد عليهم الله بقوله : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولـكن المنافقين لا يعلمون » . وقد تصدى بعض المسلمين لابن أبيّ وسل سيفه عليه ومنعه من دخول المدينة ، وقال : والله لا أغمده حتى تقول : « محمد الأعز وأنا الأذل » فقالهـا . والسبب في كل هذا أن العرب في الجاهلية كانوا يفهمون العزة في المال والجاه والرياسة والولد ونحو ذلك ، فجعلها الاسلام في الدين الحق ، وأداء الواجب للناس ولله

وأكثرَ العرب من استعمال هذه الـكلمة في الجاهلية والاسلام ، فكان أبو جهل يقول : « أنا أعز أهل هذا الوادي وأمنعهم » ، وقال الشاعر :

بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابهم   فى كل نائبةٍ عِزازُ الآنُفِ

وفسر الراغب الأصفهانى « العزة » بأنها حالة مانعة للانسان من أن يُغْلَب ، وجعل اشتقاقها من قولهم أرض عَزَاز أى صلبة ، وتعزز لحم الناقة اشتد وصلب

والحق أن تحديد معنى العزة فى منتهى الصعوبة ، وأصعب ما فى ذلك رسم الحد الفاصل بين العزة والكبر ، وبين الذل والتواضع ؛ وقديماً حاول الناس أن يفرقوا بينهما ، فقد روى أن رجلا قال للحسن بن علىّ : « إن الناس يزعمون أن فيك تيهاً » فقال : « ليس بتيه ولكنه عزة » . وروى عن عمر ابن الخطاب أنه قال : « اخْشَوْشِنُوا وتَمَعْزَزُوا » كأنه خشى إذا أمر الناس بتعود الخشونة أن يلجئهم ذلك إلى احتقار النفس وذلها فاستدرك ذلك بطلب المحافظة على العزة

وحاول السهروردى أن يفرق بين العزة والكبر فقال : « العزة غير الكبر لأن العزة معرفة الانسان بحقيقة نفسه وإكرامها ، كما أن الكبر جهل الانسان بنفسه وإنزالها فوق منزلتها »

ولست أدرى لم أهمل علماء الأخلاق من المسلمين هذا الخلق فلم يكثروا الكلام فيه إكثارهم فى غيره من الصدق والعدل والكرم والتواضع

ولو وضعت أنا « قائمة » الأخلاق مرتبة حسب أهميتها للمسلمين لوضعت فى أعلاها « العزة » ، ولاخترت من الأخلاق ما يمس القوة والاعتداد بالنفس والرجولة والأنفة والحمية ، ولأقللت جداً من الكلام فى التواضع والزهد والخوف ونحو ذلك ، لأن قائمة الأخلاق يجب أن تخضع فى ترتيبها وتنويعها لعاملين : روح العصر ، وموقف الأمة إزاء بقية الشعوب ؛ بل أحياناً تنقلب الفضيلة إلى رذيلة ، ويكون الحث على هذا النوع من الفضائل داعية إلى الاجرام . فاذا أفرطت أمة فى التواضع كانت الدعوة اليه إجراماً ، وإذا أفرطت أمة فى الزهد كانت دعوة الأخلاقيين اليه دعوة إلى الموت والفناء

كنت زمناً قاضياً فى « الواحات الخارجة » وهى بلاد فى منتهى الفقر والبؤس ، أغناهم من ملك نُخَيْلات وسُوَيْمات فى عين من عيون الماء ، بؤس شامل ، وجهل شائع ، وضعف يستذرف الدمع ، ويستوجب الرحمة . ذهبت يوماً إلى صلاة الجمعة فى مسجدها البائس الفقير أيضاً .. فما كان أشد عجبى م خطيب يخطب من ديوان مطبوع يستحث الناس على ألا يقض صيفهم فى أوربا ، وأنا على يقين أن الخطيب والسامعين لم يعرف أوروبا ، ولم يفهموا لها إلا معنى غامضاً ، ولم تحدث أحداً منـ نفسه بالسفر إلى مصر فضلاً عن أوروبا ، ولكنها قلة ذو الخطيب وسماجته ، وجهله التام بالواقع

وأؤكد أن أكثر المتكلمين فى الأخلاق من المسلمين مثل حال هـذا الخطيب ، لا يعرفون زمانهمْ ، ولا يعرفو أمتهم ، ولا يعرفون موقف أمتهم من زمانهم . يرونهم أذ فيدعون إلى الذلة ، ويرونهم متواضعين فيلحون فى طلب التواضع ويرونهم زهاداً بالطبيعة لا يجدون الكفاف من العيش فيمعنو فى طلب الزهد . فان هم تلطفوا قليلاً طلبوا منهم الرضا بالبؤ وألصقوه بالقدر ، وجعلوا ذلك كله ضرباً من التقوى والايمان وهم بذلك يداوون جوعاً بجوع ، وجرحاً بجرح ، وسما بسم وكان يجب أن يداووا جوعاً بشبع ، وجرحاً بضماد ، وسما بترياق

تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا ندعو إلى خلق يز الأمة ضعفا ، فلا ندعوها إلى الرضا بالقليل وفى إمكانها الكثير ولا ندعوها إلى الاستسلام للقدر وفى وسعها مكافحة الصعا ومواجهة الشدائد ، ولا ندعوها إلى الذلة وفى استطاعتها أن تعز

والواقع أن أبيات العزة وأدب العزة وأمثال العزة وقصص العز إنما تكثر فى الأمة أيام عزتها وتختفى أيام بؤسها ، فلما كا العالم الاسلامى عزيزا أنطقتهم بالعزة رماحهم ، ثم غلبوا على أمر فنطقوا بالتواضع ، وتواصوا بالاستكانة ، وألفت الكتب والخطـ من ذلك الحين تروّح على البائسين حتى لا يشعروا ببؤسهم ولا علوا شقاءهم ، وما زال الحال على هذا المنوال حتى صار الد صحة والدواء مرضيا

وليس غريبا أن يسير الناس على هذه الخطة ، ولكن غريب أن يسير القادة عليها ، وكان المفروض أن يكونوا أبعد نظرا ، وأطه قلبا ، وأعرف بحقائق الأمور

* * *

أريد بالعزة أن يشعر كل انسان بكرامة نفسه ويشع بما لها من حقوق ، فلا يسمح لمخلوق كائنا من كان أن ينا منها مثقال ذرة ، كما يشعر بما عليه من واجبات فلا يسمح

نفسه أن يعتدي على حقوق الناس مثقال ذرة أيضاً

وللعزة مظاهر متعددة ووسائل مختلفة ، فالناس كثيراً ما يتطلبون لغني وسيلة من وسائل العزة ، وآخرون يطلبون المنصب الحكومي و العضوية البرلمانية أو العضوية في الجمعيات الراقية أو صداقة لعظماء أو حسن الملبس على أنها وسائل للعزة ؛ والمتعلمون يطلبون لعزة من طريق الشهادات من ليسانس ودكتوراه وبلوم ونحو ذلك ، وهذه كلها عزة شخصية ؛ وهناك عزة أخرى قومية وهي اعتزاز الفرد بنسبته إلى أمته كاعتزاز الانجليزي بانجليزيته والفرنسوي بفرنسيته والألماني بألمانيته ، ولهذه كذلك مظاهر متعددة كاحترام كل أمة أعلامها والمحافظة على بعض تقاليدها والافتخار بلغاتها والفخر بآثارها ونحو ذلك ؛ وليس يهمني الآن هذا ولا ذاك ، إنما يهمني نوع من الشعور يتملك المرء ويشعر منه بأنه إنسان في الحياة لا يمتاز عنه أحد في الوجود في انسانيته . قد يمتاز الناس عنه في المال أو في الجاه أو في المنصب ولكن الامتياز عليه أحد في أنه انسان ، فسائق السيارة وصاحب السيارة سيان في احترامهما أنفسهما وشعورهما بحقوقهما وواجباتهما

ويسوءني أن أرى الشرقي لا يشعر بالعزة الشعور الواجب ، ولا ينزل هذه الفضيلة من نفسه المنزلة التي تستحقها ، وأكبر ما يؤلمني في ذلك مظهران :

الأول : استخذاء الشرقي أمام الأجنبي الأوربي وشعوره في أعماق نفسه كأنه خلق من طينة غير طينته ، وكأن الطبيعة جعلت أحدهما سيداً والآخر عبداً ، ترى هذا الشعور في المصالح الحكومية وفي الحوانيت التجارية وفي المجتمعات وفي الشوارع ، وفي كل معاملة وفي كل خطوة . بالأمس كنت في محطة السكة الحديدية فذهبت الى شباك التذاكر وسألت الموظف — في أدب — هل هنا محل صرف التذاكر الى بلدة كذا ؟ فلم يجب ، وأعدت السؤال فلم يجب ، فتولاني شعور ممتزج من غضب وخجل واحتمال لبرودة السؤال وغير ذلك ، وما لبث أن جاء أجنبي فسأل مثل هذا السؤال بلغته الأجنبية ، فترك الموظف ما في يده وأقبل عليه بكله ، وأجابه إجابة فيها كل معنى التبجيل والتعظيم ، واختتم كل جملة من جمله بكلمة « سيدي » ! فدهشت من هذا الحال وثارت نفسي ، وتحمم الدم في وجهي ، ونلت من الموظف بقدر ما نال مني ، ولم أكسب من ذلك كله إلا أن أكتب هذا المقال

وموقف هذا الموظف تقفه كل الأوساط على اختلاف في مقدار اللباقة والكياسة ولكن الجوهر واحد ، فذلك هو الشأن في الأوساط العلمية والتجارية والسياسية ، يتكلم الأجنبي كلمة عالية فتكون المثل ، وتكون الحكمة ، وتكون القول الفصل ؛ ويبدي الرأي فيكون الرأي الناضج والقول الحكيم والغاية التي ليس وراءها غاية ؛ ويطلب الطلب فلا بد أن يجاب ، وإذا لم يمكن فالاعتذار الحار والوعد باجابته في ظرف آخر ؛ ويدخل المحل التجاري أو يركب القطار أو يدخل النادي فموضع رعاية خاصة ؛ ويعمل العمل فيقدر التقدير العالي في قيمته الأدبية ومكافأته المادية إلى ما يطول شرحه

وفي هذا من غير شك مذلة للشعور وكبت للنفس واستعباد للمواطن ، ومع هذا يطالبنا السادة الأخلاقيون بالتواضع ! لابد أن يفهم الناس في كل مناسبة وفي كل ظرف أن القوم أناس مثلنا لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، وأن هؤلاء القوم على أحسن تقدير ضيوفنا لا سادتنا ، ومن لحم ودم كلحمنا ودمنا ، ولهم عقل ولكن كعقلنا ، وسلوك في الأخلاق كسلوكنا ، وتصدر منهم الفضيلة والرذيلة كما تصدر عنا ، وأنهم كسائر البشر يستذلون من أذل نفسه ، وأن واجبنا أن نحترمهم في غير مذلة ، ونحترمهم لا على حساب احتقار المواطن ، وأننا نبادلهم احتراماً باحترام واحتقاراً باحتقار ، وأنه إذا حدثتهم أنفسهم بالاعتداء علينا لم نمكنهم ، وأن الحكم بيننا وبينهم دائما أن لنا حقوقاً وعلينا واجبات كحقوقهم وواجباتهم ، فاذا طلبوا المساواة فالسمع والطاعة ، وإذا طلبوا الاذلال قلنا « لا » على أفواهنا

والأمر الثاني من مظاهر الذلة الذي لا يقل خطراً عن هذا ، فهم الرئيس لمعنى الرياسة ؛ فهو يفهمها على أنها غطرسة من جانبه ، وذلة من جانب مرءوسه ، وإلا لم يكن المرءوس مؤدبا . فرئيس المصلحة ليس لأحد رأي بجانب رأيه ، لا لوكيله ولا لمديري إدارته ، عليهم أن يسمعوا في ذلة والعزة له وحده ، ثم يتكرر تمثيل هذا الدور من أعلى فنازلا ، فكل من بعد الرئيس الأعلى رئيس من جانب ومرءوس من جانب ، فهو كمرءوس حاله ما بيّنا ، وهو كرئيس يقلد تقليدا تاما رئيسه في اعتزازه وإذلاله ، وهكذا دواليك ، حتى يصل الأمر إلى ما نرى من الباعة في الشارع والجندي ، فمثلهم كالقاطرة تصدم العربة التي تقابلها